بسم الله الرحمن الرحيم

١. المنهج الإسلامى للأخلاق فى الفضاء الافتراضى؛ الاختلافات والأساليب

الاستاذ الدكتور حميدرضا آية اللهى

١) المقدمة

إمكانية تطبيق المنهج الإسلامى على الأخلاق فى الفضاء الافتراضى ومعناه:

يسهل التحدث عن الأخلاق الدينية بالنسبة للأشخاص الذين يعتمدون فى أسسهم الأخلاقية على "الأوامر الإلهية"؛ لأن كافة المعايير الأخلاقية تعود إلى الأوامر الإلهية (ريتشلر، ٢٠٠٨م، ص٥-٧٤). لكن القضايا التى تواجه هؤلاء الأفراد مثل نسب الصفات الحسنة لله تعالى، تجعلهم أمام مشكلة. فالمعيار الخارجى ليس من الأمر الإلهى لكي يوصف الله تعالى بتلك الصفات ويبرئ من الصفات الأخرى. هذه المشكلة هى ذاتها التى واجهت رأى الأشعرى فى العالم الإسلامى.

وفى المقابل، إذا اعتبرنا معيار التعاليم الأخلاقية مستقلاً عن الله، فسوف نواجه قيود السلطة والسيادة الإلهية. يؤمن بعض المعتزلة بهذا الأمر. وفى الخلاف بين هاتين الفرقتين، تتهم الجماعة الأولى بأن توحيد الصفات الذى يؤمنون به يعتريه الشك، أما الفرقة الثانية فقد اتهمت بعجزها عن التعبير عن توحيد الأفعال (مطهرى، ٢٠٠٣م، ص٨-٢٤). وهنا اختار الشيعة بناءً على تعاليم أئمتهم الابتعاد عن الإفراط والتفريط وسلكوا نهجاً معتدلاً يحمى توحيد الصفات والأفعال من الأضرار الفكرية فى التعبير عن الحسن والقبح الذاتيين والحسن والقبح العقليين. ولا يتسم الحسن والقبح الذاتييان فى الفكر الشيعى بوجود متحيز مثل الفكر الأفلاطونى، بل على الرغم من حسمه لمبادئ من عدم التناقض فهو اعتبارى وبالتالى فهو لا يوجد بفعل فاعل حتى يكون له خالق. وينبع سر شمول العدل فى مبادئ المذهب الشيعى عن هذه الحقيقة (ص٢٩).

إذا اعتبرنا أن الأخلاق ذات حسن وقبح عقليين، فيجب الاعتماد على العقل للبحث عن الصالح والطالح فى الفكر البشرى. وبالتالى، لن يسرى الأمر الإلهى فى هذه الحالة. ومن جهة أخرى، فإن الذين يدرسون الأخلاق على أساس علمانى يعتبرون أن الفكر البشرى كاف وواف للحصول على التعليمات الأخلاقية. ومن الجدير أن نسأل: هل يمكننا أن نتحدث عن الأخلاق الدينية بشكل عام والأخلاق الإسلامية بشكل خاص؟ كيف ستكون إسلامية الأخلاق فى هذه الحالة؟ ما هو الفرق بين الأخلاق الإسلامية ذات المنهج الشيعى والأخلاق العلمانية؟

ترتكز الأخلاق التطبيقية فى الغرب على أسس علمانية، ومن المسلم به أن المنهج الإسلامى فى الأخلاق ضمن الفضاء الافتراضى ذو أوجه تشابه كثيرة بالمنهج العلمانى؛ ولكن ما هى أوجه الاختلاف بين هذين المنهجين والتى ستشكل السمات الخاصة للمنهج الإسلامى للأخلاق فى الفضاء الافتراضى؟ أجريت الكثير من الدراسات حول علاقة الدين والأخلاق، ولكن لم نشهد أى منهج شامل لجميع أبعاد هذه العلاقة. سوف نقدم فى هذه المقالة العناصر الرئيسة التى تميز الأخلاق الإسلامية ذات النظرة الشيعية عن

العلمانية فى الفضاء الافتراضى. ومن الجدير بالذكر أن بعض هذه العناصر تميز المنهج الإسلامى والبعض منها تؤسسه. وبالتالى يجب علينا تطبيق هذه العناصر لتقديم المذهب الأخلاقى فى الفضاء الافتراضى لكي نتمكن من الحديث عن المنهج الإسلامى للأخلاق فى الفضاء الافتراضى. سوف نشير فى هذه المقالة إلى العناصر الرئيسة للمنهج الإسلامى فى إعداد المذهب الأخلاقى. نتمنى أن نكون قادرين على إعداد المدونات الأخلاقية بناءً على المنهج الإسلامى فى الفضاء الافتراضى بحيث تكون ذات عناصر مشتركة وعناصر ذات قيمة إسلامية.

عناصر المنهج الإسلامى للأخلاق فى الفضاء الافتراضى

العناصر الأساسية وعناصر المحتوى

١) أهمية حسن الفاعل والفعل كليهما فى الأعمال الأخلاقية والتقدم القيمى على حسن الفاعل

إن ما يحظى بالأهمية فى الأخلاق التطبيقية العلمانية هو النتيجة أو التقييم بناءً على نتائج البحث الإيجابية أو السلبية. وعلى الرغم من وجود فلسفات الأخلاق الوظيفية، فإن النظام السائد فى الأخلاق التقنية (بشكل عام وأخلاق الفضاء الافتراضى بشكل خاص) يتأثر بالنتائج الحاصلة على السلوكيات الأخلاقية وتقييم حسن أو قبح الأفعال حسب المعايير العملية والأرباح والخسائر الاجتماعية والفردية لها. عادة ما تكون المبادئ الأساسية (بين ٣ إلى ٨ مبادئ) مرتكزاً لتدوين الشيفرات الأخلاقية للمذاهب الأخلاقية العلمانية، ويتم إعداد سائر الشيفرات الأخلاقية بناءً عليها. لا تحظى النية من الفعل فى المبادئ الأولية بأهمية تذكر. فعلى سبيل المثال، فى هذا النوع من المذاهب الأخلاقية فى الأخلاق الطبية العلمانية، لا يرتكز أى مبدأ من المبادئ الأربعة على نية العمل الأخلاقى، ويبدو أن النتائج المستحسنة للفعل هى معيار للحكم حول مطابقته أو عدم مطابقته للأخلاق. إن مبدأ الفائدة موجه بشكل كامل نحو النتائج، وليس فيه لنية الفاعل أية أهمية. وكذلك عدم الإضرار والعدالة فهى تؤخذ بعين الاعتبار بناءً على الحقائق العينية المشهودة للعمل. إن اهتمام فاعل الفعل الأخلاقى باختيار وحرية الآخرين، مبنى على الأهمية العملية له لتأسيس الواجبات والمحظورات الأخلاقية.

أما فى النظرة الإسلامية، وفضلاً عن أهمية النتائج فإن قيمة العمل لا تكمن فى نتائجه الإيجابية، بل يمكن للنية أن تزيد من قيمة الفعل أو تذهب بها. (سبحانى، ٢٠٠٠م، ص٤-١٩٢)

اِنَّ اللهَ لايَنظُرُ اِلى صُوَرِكُم واَعمالِكُم اِنَّما يَنظُرُ اِلى قُلوبِكُم ونيّاتِكُم

ونظراً لصعوبة تشخيص النية الباطنية للأفراد فى الاخلاق العلمانية، ولا يمكن نسبة الدوافع لفاعل الفعل إلا بالشروط العينية والظاهرية وهذا يختلف كثيراً عن النية الباطنية، ولذلك فقد تم التخلى عن نية الأفعال التى لا يمكن بلوغها منذ البداية، لأنه إذا لم يكن بالإمكان تشخيص المعيار فليس من المناسب طرحه.

ومن جهة أخرى، حتى لو كانت نية الفعل ذات أهمية فى تنفيذ الوظائف بناءً على فلسفات الأخلاق، فسوف تختلف النية حسب الأهداف والتوجهات. الأخلاق للأخلاق ليس سوى ذات هدف صغير يجعل من النية أمراً قيماً ضمن نطاق جزئى. إذا كان الهدف من الحياة يكمن فى التقرب من الله تعالى، فلا يمكننا أن نأخذ بعين الاعتبار هدفاً أسمى للفعل. فى النظام الأخلاقى الإسلامى- إذا أخذنا بعين الاعتبار نية الفعل وأسمى أهداف الحياة (التقرب من الله) – فإن النية تغدو أكثر أهمية بالنسبة لحسن الفعل.

وبما أن علم الله وأسباب وقفه على النية البشرية من أهم العقائد الإسلامية حيث يمكن من خلاله تقييم الجوانب الخفية والنوايا الإنسانية بشكل دقيق، فإن الإشارة إلى هذا المعيار لن تكون عبثا وسوف تقدم لنا مظاهر مختلفة للفعل الأخلاقى.

فى أخلاق الفضاء الافتراضى ذات المنهج الإسلامى، لا يمكن الاكتفاء بنتائج الفعل الإيجابية فحسب، بل يجب أن تؤخذ برامج جدية بعين الاعتبار لرفع الفعل الأخلاقى من حيث النية. فعلى سبيل المثال، تقتصر التعاليم الأخلاقية التقنية على الإشارة إلى المعايير الأخلاقية وتربية المستخدمين أو مصممى التقنيات على التصرف حسب تلك المعايير. بينما توجد أساليب تربوية مستقلة أخرى لنمو النية ورفع درجتها بين كافة المستخدمين والمستفيدين من الفضاء الافتراضى وذلك لأجل نشر التنمية الأخلاقية بين مستخدمى الفضاء الافتراضى.

ومن جهة أخرى، يجب السعى لإعادة تدوين التعاليم الأخلاقية فى كافة الحالات لكي تؤخذ بعين الاعتبار تعليمة تبين كيفية تدخل نية الفرد إلى جانب تعليمة الفعل الأخلاقى. إذا كانت النزاهة فى تقديم المعلومات ومراعاة خصوصى الأفراد فى الفضاء الافتراضى أمراً صالحاً يلتزم به جميع المستخدمين، فيجب التخطيط لنية الأفراد فى الالتزام بهذه المبادئ الأخلاقية والعمل والنية يضمنان أخلاقية الفعل.

٢) حسن الأفعال الأخلاقية ذاق ولكن قصور العقل البشرى يجعله يحتاج إلى الوحى لتعيين حدوده

يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن الدين ليس معياراً لتقييم صلاح الفعل أو طلاحه. لا يمكن لنظرية الأمر الإلهى أن تكون معياراً لحسن الأعمال وقبحها ، فالأعمال الأخلاقية صالحة ذاتياً فهى مطابقة للأمر الإلهى (الطوسى، ١٩٨٨م، ص٣٢٧). ولهذا السبب يمكن للعقل البشرى والفطرة البشرية تشخيص حسن الأعمال وقبحها. لكن العقل يقر فى الكثير من الحالات بعجزه عن التشخيص المفصل لحسن الأعمال وقبحها (سبحانى، ٢٠٠٣م، ص٣٢). يجب على العقل أن يدخل الكثير من العوامل فى تشخيص ذلك مما ينجم عنه الكثير من وجهات النظر المختلفة. ومن جهة أخرى، لا يمكن للإنسان أن يتمسك بالنسبية بناءً على فطرته، ولذلك فهو يحتاج إلى عقل يفوق العقل البشرى لمساعدته فى هذه الحالات.

ينظر الكثير من العلمانيين إلى الكثير من الأعمال على أنها صالحة فى بعض الظروف، ولكن بعد سنوات أو عقود أو قرون تظهر نتائجها غير المطلوبة (لم تكن أضرار البيئة الناتجة عن التكنولوجيا والتمحور حول الإنسان فى الاستفادة من العلم موضع اهتمام مع بداية القرن العشرين، بينما غير هذا الأمر فى القرن الواحد والعشرين معايير حسن التقدم العلمى وقبحه بشكل كامل). ونظراً لقصور الوعى البشرى حول النتائج المستقبلية لتصرفات البشر، فهم بحاجة إلى عقل يفكر بالمستقبل ونتائجه على المجتمع البشرى بأكمله ويكون واقفاً على نظام متناسق ومنسجم من الخير. وبما أن معرفة المستقبل تقتصر على الله، فالأمر يحتاج إلى الوحى لتشخيص تفاصيل الحالات، ويجب أن يكون الوحى معياراً لتشخيص الخير.

ويرتكز التخطيط فى تدوين التعاليم الأخلاقية فى الفضاء الافتراضى على العقل الإنسانى الذى يجب أن يصادق عليه الوحى وتعاليم الدين. ولهذا السبب لا يختلف المنهج الإسلامى للأخلاق فى الفضاء الافتراضى كثيراً عن المنهج العلمانى فى العديد من الحالات، ويمكننا أن نستفيد من المذاهب الأخلاقية للفضاء الافتراضى للمجتمعات غير الإسلامية بشكل جيد، ولكن يجب الانتباه إلى أن تلك المذاهب غافلة عن القضايا البنيوية الأخرى والتى أخذها المنهج الإسلامى بعين الاعتبار.

٣) يقدم الوحى تعاليم عامة ومن السهل مطابقة التعاليم الإلهية بالقضايا الجزئية بواسطة العقل الإنسانى

إن إدراك الوحى يعتمد على قواعد ميسرة بحجية العقل. وبما أن الوحى يحيل بعض الجوانب إلى عقول العلماء، فيجب اتباع العقل فى هذه الحالات.

بعد مقارنة التعاليم الأخلاقية بالوحى وملاحظة أنها لا تخرج عن نطاقه، فقد أحيل الوحى إلى العقل البشرى لتشخيص الحالات الجزئية. وعلى الرغم من ضرورة تأييد الوحى، فإن الوقوف على شؤون الوحى ميسرة بالاجتهاد (جوادى آملى، ٢٠٠٥م، صص٣-١٣١). فى هذه الحالات لا يمكننا أن نكتشف مطابقة هذه الحالات للوحى بظاهر الوحى فحسب. وهكذا تتبين ضرورة شؤون مختلفة مثل العقل ضمن نطاق الوحى والمصلحة البشرية والتى تخضع لتأييد العقل فى الاجتهاد لأجل اكتشاف تعاليم الوحى. وبالتالى فإن حضور المتخصصين والعلماء والتقنيين فى الفضاء الافتراضى سيكون له دور فعال فى الاجتهاد فى هذا المجال. يجب أن يكون هذا الاجتهاد نتاج تفاعل فكرى بين علماء الدين والمستخدمين والمتخصصين فى الفضاء الافتراضى إضافة إلى الحقوقيين وعلماء الأخلاق والفلاسفة.

لتعيين الحالات الخاصة أو القضايا المستحدثة فى مجال الأخلاق ضمن الفضاء الافتراضى، يستدعى الأمر حضور مجموعة من المتخصصين ، ويجب اتخاذ القرار بما يتمحور حول علماء الدين وتعيين المعايير التى تتمحور حول مستخدمى الفضاء الافتراضى. من المهم فى هذه الحالات تشكيل لجان خاصة أخلاقية فى المجمعات العلمية التقنية.

٤) رغم أن الإيمان بالله العالم المطلق والقادر المطلق يؤدى إلى العثور على الأسباب الطبيعية التى تشير إلى نظام الحكمة الإلهية كما يؤدى إلى قدرة السيطرة على الطبيعة، لكن هذا الإيمان يرفض أى علم خارج عن ربوبية الله.

وفى دراستهم لمجالات التقدم العلمى، يعتبر العلماء أن الأديان الإبراهيمية غاية فى الأهمية بسبب الإيمان بالله العالم المطلق والقادر المطلق وكذلك تشجيع وهداية الأنبياء على إدراك رموز العالم؛ ذلك أن الطبيعة خاضعة للعلم والقدرة الإلهيين وإذا فرضنا أن العالم منظم بشكل نابع عن الاعتقاد بالعلم الإلهى المطلق، والسيطرة القوية عليه والناجمة عن الإيمان بالقدرة الإلهية المطلقة، فسوف يمهد ذلك الطريق أمام احترام البشر لذاتهم والثقة بأنفسهم. لكن هذا الطريق لا يمكن له أن يبرر أية سيطرة للإنسان على الطبيعة، بل لأجل فرض سيطرته على الطبيعة يجب عليه أن يستفيد من التعاليم الدينية والوحى (آية اللهى، ٢٠٠٤م ،ص ٧١). إن هذا الأمر يجعل القضايا الأخلاقية المرتبطة بالبيئة على شكل تفكر دينى. وتكون التعاليم الدينية فعالة عندما تخلق التزاماً بالمبادئ الفقهية.

<u>العناصر المعنوية</u>

١) إن القيمة الرئيسة للأحكام الأخلاقية هى القرب من الله والتطور المعنوى والمادى للإنسان على هذا الطريق. يؤدى هذا الأمر إلى عجز النظام العلمانى عن تقديم معيار تقييم شامل

تعتبر كيفية النظرة إلى كل إنسان وحاجاته وهدفه من الحياة، من أهم التحديات التى تواجه النظام الأخلاقى الدينى ذى المنهج العلمانى. إن هذا الأمر يجعل العديد من القضايا فى النظام الأخلاقى الدينى مختلفة تماماً عن نظام القيم الإنسانية. لأجل التقييم الأخلاقى لمختلف الشؤون فى الفضاء الافتراضى، لا يمكن الاهتمام بالرفاهية والسلامة الجسمية والمتعة الإنسانية فحسب، بل يجب التخطيط لأجل مجموعة النمو المعنوى والمادى للفرد (مشكينى، ٢٠٠٤م، ص١٣). وبما أن القرب من الله أهم هدف للإنسان فى النظرة الإسلامية، فيجب أن نجعل نية أى عمل أخلاقى بين المستخدمين فى الفضاء الافتراضى تتمثل فى رضا الله (مطهرى، ١٩٨٣م، صص٨٤-٦٩)، ويجب تقييم صلاح أو طلاح كافة الفعاليات فى الفضاء الافتراضى بمجموعة النمو المادى والمعنوى للفرد. فعندما نتحدث عن احترام خصوصية الأفراد فى الفضاء الافتراضى، فلا يجب أن يوفر احترام الخصوصية هذا المتعة للفرد ويؤدى إلى تخريب معنويته. وعندما نتحدث عن الأضرار فهذا لا يعنى الأضرار الجسمية فحسب بل يشمل الأضرار المعنوية. وبالتالى، فإن أية فعالية فى الفضاء الافتراضى لا يمكنها أن تمنع النمو المعنوى ولا أن تؤدى إلى الفساد الدينى. إذن عندما يجرى الحديث عن عرض الصور الجنسية المثيرة فى الفضاء الافتراضى، فإن احترام خصوصية ناشرها أمر مرفوض لأن هذه الخصوصية تؤدى إلى تخريب الجان المعنوى للأفراد.

٢) لتشخيص أخلاقية أعمال معينة فى الفضاء الافتراضى، يجب تقييم النتائج الحاصلة التى تشمل رفاهية واستقرار الفرد ونموه المعنوى

إن أى قرار يطال صلاح الأعمال الجزئية وطلاحها مع أخذ المصالح الناجمة عن هذا العمل بعين الاعتبار، يتوقف على الدراسة العقلية لهذه النتائج وتأثيرها على الفرد والمجتمع، وهذا الأمر يتبلور فى الاجتهاد. لتشخيص صلاح الأعمال وطلاحها (وليس الفاعل) فلا يمكن الاكتفاء بالتعاليم الأخلاقية، بل يجب تقييم هذه التعاليم ومقارنتها بالنتائج الحاصلة عنها فى المجتمع. ولذلك يجب دائماً دراسة النتائج المفصلة للفعل من قبل مجموعة من المتخصصين لأجل تقييم الآثار الاجتماعية والفردية للتعاليم بدقة. وهذا يعنى أنه ورغم أن النظرة الأخلاقية للفكر الإسلامية ليست موجهة بشكل كامل إلى النتيجة، لكن النتيجة فيها تحظى بأهمية كبيرة ولا تتبع الطريق الموجه نحو الوظيفة فقط. وتقترب النظرة الأخلاقية الموصى بها فى الإسلام من منهج الفضيلة فى الأخلاق، لأن منهج الفضيلة يهتم بالاختلافات الفردية والمجالات الاجتماعية والفكرية والثقافية والاقتصادية للمجتمع ولا يكتفى بتعيين الوظيفة، بل يتابع بجدية تربية الأفراد المتخلقين بالقيم الأخلاقية. إن مجموعة التعاليم الدينية فى هذا المجال تشير إلى اهتمام الإسلام بنشر الأخلاق فى المجتمع. وهذا المؤشر لا يميز الأخلاق الدينية عن العلمانية بل يعتبر من أسس الأخلاق الدينية.

٣) فى الرؤية الإسلامية للأخلاق فى الفضاء الافتراضى، ينظر إلى الدنيا كأهم مهد للنمو المعنوى للإنسان، وبالتاليفإن النمو المادى للأفراد مهم أيضاً

وخلافاً للمسيحية (وخاصة فى القرون الوسطى) فإن ترك ملذات الدنيا أمر غير مستحب. لقد أخذ النظام الأخلاقى الإسلامى كافة الحاجات الغريزية والفطرية للإنسان بعين الاعتبار بشكل متعادل.

وَرُهبانِيَّةً اِبتَدَعُوها ماكَتَبنا

إن أى نظام أخلاقى يغفل عن بعض جوانب الحاجات الإنسانية، يخرج الإنسان عن حالة تعادل القوى الإنسانية. ولذلك، فقد جاءت التعاليم الإسلامية بحلول طبيعية وسهلة لكافة الحاجات البشرية المادية والمعنوية.

قُل مَن حَرَّمَ زينَةَ اللهِ الَّتى اَخرَجَ لِعِبادِهِ

إن تلبية الحاجات الجسمية والمادية للبشر شرط لازم وضرورى للنمو المعنوى، ولذلك فهى أمر قيم. الدنيا مزرعة للآخرة وكلما كانت القدرة الجسمية والمادية للإنسان أكثر كلما كان طريقه نحو النمو المعنوى ممهداً أكثر (مصباح، ٢٠٠٥م، صص٦-٢٧٥). ولذلك فإن التعاليم الأخلاقية فى الفضاء الافتراضى ترفض قمع الغرائز أو الشؤون الفطرية أو النمو الجسمى. ويعتبر هذا المؤشر كذلك من أسس الأخلاق الإسلامية.

٤) لأجل التقيد بالتعاليم الأخلاقية فى الرؤية الإسلامية، فقد أخذت بعض الحلول التنفيذية والتربوية بعين الاعتبار وأهمها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

يجب أن تتمتع التعاليم الأخلاقية بالدعم التنفيذى، وهكذا فإن جميع أفراد المجتمع مسؤولون عن تحقق السلوك الأخلاقى فى المجتمع وتقيده بالتعاليم الأخلاقية والأعمال الصالحة والحسنة فى الفضاء الافتراضى وابتعاده عن الأعمال السيئة غير المستحبة. ويحظى مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بمعناه الواسع الشامل لكافة مجالات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى هذا المجال بأهمية كبيرة جداً.

العناصر الحقوقية

١) بما أن الإنسان مرتبط بالله فى كافة أبعاده الوجودية، ولذلك فإن كافة الحقوق التى يتمتع بها ممنوحة له من الله وبإذن الله

وهذا يعنى أنه لا يمكن سلب الإنسان حقوقه الإلهية بأى شكل حتى لو قضت أكثرية الناس أو مصلحة المجتمع أو مبدأ العدالة بذلك؛ إلا إذا منح الأذن بذلك من قبل الله لفرد آخر أو للمجتمع. ولذلك فإن الإنسان لا يتبع سوى الله تعالى فى حقوقه.

وتتوقف شرعية التعاليم الأخلاقية فى الأنظمة العلمانية على إجماع العقلاء ورأى الأكثرية، وهكذا لا يمكن لمبادئ الفائدة أو العدالة أن تكون ذات شرعية لسلب حرية الأفراد. إذن لا يمكن للعقوبات أن تكون ذات شرعية. وترتكز هذه الحقوق فى النظام الحقوقى الإسلامى إلى الملكية والربوبية الإلهية، بينما ترتكز الرؤية الإنسانية فى العصر الغربى الحديث على إنكار ربوبية الله وليس إنكار الله ذاته.

وبما أن كافة الأسس الحقوقية للإنسان ترتبط بالله، فلا يمكن الحد من حرية الإنسان إلا بما يأذن به الله (جوادى آملى، ٢٠٠٥م، ص٨٥). وهذا لا يعنى إنكار المصلحة العامة أو رأى الأكثرية أو المراجع الأخرى لبلوغ مبدأ الفائدة أو العدالة، بل يمكن أخذ هذا الأمر بعين الاعتبار لكشف الربوبية الإلهية فى الاجتهاد الدينى، ولا يمكن تحديد شرعيته سوى من قبل الله.

٢) نظراً لحكمة الله اللامتناهية، فإن الحقوق الممنوحة للإنسان ذات فلسفات يمكننا الوصول إلى البعض منها

لا بد أن للحقوق والواجبات الإلهية مصلحة أو فلسفة قوية بناءً على الإيمان بحكمة الله وعلمه اللامتناهى ورحمته مترامية الأطراف تجاه عباده. وهذا لا يعنى أن الإنسان قادر على إدراك كافة هذه المصالح بقصوره الزمكانى، بل يمكنه اكتشاف بعض جوانبها.

٣) لكل إنسان فى التعاليم الإسلامية كرامة سامية وقد منح الله كل إنسان قيمة مثل سائر البشر

إن الاهتمام بالكرامة الإنسانية يشير إلى القيمة الذاتية للبشر وضرورة مراعاة العدالة بمعنى تساوى الحقوق بينهم، إلا إذا منح أحد الأشخاص حقوقاً أكثر بناءً على سماته الخاصة فى حالات مشابهة، أو حرم من بعض الحقوق بسبب سلوكيات معينة. إن الحرمان من بعض الحقوق لا يعنى الحرمان من سائر الحقوق.

تقضى كافة الأديان الإبراهيمية بأن قتل أو إحياء إنسان يعادل قتل أو إحياء كل البشر. وهذا يعنى أن كرامة الإنسان لا تقدر بثمن (جوادى آملى، ٢٠٠٥، ص٢٨٩). سوف يكون أساس اتخاذ القرار فيما يتعلق بأخلاقية السلوكيات فى الفضاء الافتراضى متمثلاً بهذه النظرة إلى الكرامة الإنسانية. ولذلك لا يمكن لأية من التعاليم الأخلاقية (مثل احترام خصوصية الأفراد وسمعتهم) أن تنكر هذا المبدأ. وتصبح المبادئ الأساسية لأى نوع من الأخلاق فى الفضاء الافتراضى ذات معنى فى ظل هذا المبدأ.

ولا يمكن العدول عن هذا الحق إلا من قبل الله تعالى مالك البشر وربهم. إن الحد من حق فى مجال ما لا يحرم الفرد من الحقوق الأخرى، وفى هذا المجال يتمتع كافة البشر بالمساواة.

٤) لكل من الحيوانات والنباتات حق يناسبها ولا يمكن لأحد سلبها هذا الحق سوى الله. وهذا يعنى أن أى عمل فى الفضاء الافتراضى يؤدى إلى الإضرار بالبيئة فهو عمل مرفوض ومدان

حتى فى الحالات التى يوفر فيها البشر المجال لنمو النباتات أو الحيوانات، فلا يحق لهم سلبها حياتها، لأن الإنسان لا يلعب سوى دور الإعداد أما الحياة فهى نتيجة الفيض الإلهى المستمر. إن الإذن بترجيح حياة الإنسان على الحيوان فى حالات التناقض أو ذبح الحيوانات أو الاستفادة من النباتات، يمنح للإنسان من قبل الله فى ظروف خاصة. يعتبر البعض أن ذبح الحيوانات باسم الله يعنى أن الإنسان يقوم بذلك بإذن من الله وليس له حق مستقل فى ذلك. إن منع بعض البحوث الأحيائية فى الأخلاق المسيحية أو اليهودية يعود إلى تدخلها فى خلق الكائنات، لكن هذا الأمر غير مبرر فى الرؤية الإسلامية للأخلاق، إلا إذا كانت هذه البحوث محظورة بسبب تسببها بالفساد فى الأرض.

وتعيد هذه الرؤية حماية البيئة إلى أحد المبادئ الأخلاقية لكل مذهب أخلاقى. وبالتالى فإن أية فعالية فى الفضاء الافتراضى يجب أن تأخذ حماية البيئة بعين الاعتبار.

٥) بما أن العديد من البشر عاجزون عن تحصيل حقوقهم الإلهية بأنفسهم، ولذلك يجب على المجتمع الإسلامى أن يسعى لتأمين حق الحياة الآمنة لهم

بما أن تحقيق العدالة والقضاء على الظلم من مهام الحكومة الإسلامية ومن أهم سمات العدالة إعطاء كل ذى حق حقه، ولذلك يجب على الحكومة الإسلامية أن تعيد الحقوق المسلوبة لأصحابها متخذة جميع الإجراءات اللازمة لذلك. وبالتالى يجب على الحكومة الإسلامية اتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لإحقاق حقوق الأفراد فى الفضاء الافتراضى لتضمن تحقق الحد الأقصى من الحقوق بواسطة الأدوات الحكومية الخاصة بها.

العناصر الجزائية

١) يتجلى نظام العقوبات فى الرؤية الإسلامية برضا الله وعدم رضاه فى الثواب والعقاب الأخروى، ولا يعتبر ضماناً لحسن الفعل بل ضماناً لحسن لنية كذلك

هناك حلول جزائية وتشجيعية فى الأنظمة العلمانية للسلوكيات الأخلاقية، وتتجلى فى أطر عديدة. تقوم الأنظمة الرقابية والقضائية والتنفيذية والأمنية فى البلد بحراسة التعاليم الأخلاقية وضمان تنفيذها. ومن البديهى أن كلاً من هذه الحلول مهما كان واسعاً فلا يمكنه أن يضمن تغطية جميع المجالات وخاصة الجوانب الإنسانية المخفية. وتعتبر هذه الأنظمة أكثر عجزاً من أن تكتشف نية وحوافز الأفراد فى القيام بالفعل الأخلاقى. أما فى الأنظمة الدينية، فإن الإيمان بالمعاد والثواب والعقاب الأخروى الذى يشمل أفعال الإنسان وجوانب حياته بأكملها سواء كانت ظاهرة أم مخفية، ولا يغفل عن أية حياة بشرية فى أى زمكان. وتضعف أنظمة الرقابة العلمانية أمام الرقابة الإلهية على فعل الإنسان ونيته والتى تستند إلى العلم الإلهى فى كافة زوايا الحياة الإنسانية، ولا يمكنها أن تغطى سوى نطاق جزئى جداً من الحياة البشرية.

فَمَن يَعمَل مِثقالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ ومَن يَعمَل مِثقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ

وبالتالى فإن أهم ما يضمن الفعل الأخلاقى فى الأنظمة الدينية هو الثواب والعقاب الأخروى سواء كان بعيداً عن الآليات المذكورة أعلاه أو كان يتضمن حسن النية والفعل (والتى لا يمكن ممارسة الرقابة عليها) (الطباطبائى، لا تا، ٢٠٦).

وهذا لا يعنى أن سائر أنظمة الرقابة والعقاب فى الأنظمة الدينية تعانى من الإهمال، فالأنظمة الدينية تتميز باستراتيجيات عديدة لتحقيق الأخلاق فى المجتمع تختلف عن الثواب والعقاب الأخروى وتشكل بمجموعها نظام رقابة جزائياً وحقوقياً وأمنياً قوياً جداً.

٢) بما أن كل حق يقابل واجباً، فيجب تنظيم الوظائف الأخلاقية فى الفضاء الافتراضى بحيث يؤدى لكل ذى حق حقه

إن لتعيين وظائف كافة العناصر الداخلة فى الفضاء الافتراضى بناءً على حقوق العناصر الأخرى أهمية كبيرة. وبما أن مراعاة كافة عناصر الفضاء الافتراضى مبنية على المذاهب الأخلاقية لهذا الفضاء، فمن الضرورى تنظيم وظائف لكافة العناصر الداخلة فى تكوين الفضاء الافتراضى حسب التعاليم الأخلاقية ذات الصلة. ولا يكفى بيان وظائف الأفراد فى هذا المجال، لأن كل حق يخلق واجباً تجاه طرف آخر، ويجب تشخيص مجموعة الحقوق التى تخلقها الوظائف للطرف المقابل (جوادى آملى، ٢٠٠٥م، ص١١٦)، لأنه ليس هناك حق دون واجب إلا لله. وهذا يعنى ضرورة تشخيص مهام ووظائف المستفيدين من الفضاء الافتراضى مقابل بعضهم البعض أثناء تنظيم الميثاق الأخلاقى إضافة إلى تشخيص حقوق الطرف المقابل والناتجة عن هذه الوظائف.

فعلى سبيل المثال، أثناء تنظيم ميثاق حقوق المستخدم لموقع إلكترونى، فلا يمكن أثناء تنظيم حقوق المستخدم، تشخيص وظائف مالك الموقع أو تشخيص مهام المستخدم أثناء تنظيم حقوق المالك، والتطرف فى كل طرف سيؤدى إلى الانحلال الأخلاقى.

٣) إن تحقيق نظام تنظيم المهام بناءً على الحقوق يحتاج إلى نظام جزائى

بما أن الحكومة الإسلامية ملزمة بالدفاع عن الحقوق الإلهية لكل كائن باتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لإحقاق الحق، فيجب تعيين حقوق وواجبات ومهام كل فرد فى الفضاء الافتراضى وتقديم نظام جزائى يعاقب بموجبه المخالفون ويكافئ من يتقيد به بالإضافة إلى توفير الأدوات اللازمة لهذا النظام والاعتماد على الإجراءات التنفيذية اللازمة لتحقيق النظام الجزائى والتقيد به (جوادى آملى، ٢٠٠٥م، ص١٢٤). وبناءً على ذلك، يجب أن يتم تنظيم الأخلاق فى الفضاء الافتراضى من الأعلى إلى الأسفل على النحو التالى:

التعاليم الأخلاقية

تعيين واجبات الطرف الثانى تجاه الطرف الأول

تعيين واجبات الطرف الأول تجاه الطرف الثانى

تعيين حقوق الطرف الأول الداخل فى الفضاء الافتراضى

تعيين حقوق الطرف الثانى المقابل فى الفضاء الافتراضى

تنظيم نظام ثواب للعاملين وعقاب للمخالفين للواجبات

تعيين آليات تحديد العاملين والمخالفين

تعيين آليات تنفيذية للثواب والعقاب

النتيجة

على الرغم من أن الصلاح والطلاح العقليين معياران فى الرؤية الشيعية للأخلاق، لكن الرؤية الأخلاقية للفكر الإسلامى تختلف عنها فى الفكر العلمانى وتميزه عن الأخلاق العلمانية والمسيحية والأشعرية والإخبارية. لتدوين منهج إسلامى للأخلاق فى الفضاء الافتراضى، يجب أخذ ملاحظات أساسية بعين الاعتبار للحفاظ على الروح الإسلامية له. يهتم هذا المنهج فى الجانب البنيوى – المضمونى بحسن النية ويقر بالتفصيل لا بالإجمال بعجز العقل عن تغطية كافة الجوانب الأخلاقية، وبالتالى فهو يعتبر نفسه بحاجة إلى إرشاد الوحى. ويتطرق العقل إلى الاجتهاد فى حالات أكثر تفصيلاً بناءً على تعاليم الوحى. ويتم بيان كافة هذه التعليمات بناءً على الربوبية الإلهية.

إن نظرة الإسلام إلى الأخلاق لا تعتبر توجه الأخلاق مقتصراً على الرفاهية والاستقرار المادى للإنسان، بل يعتبر النمو المادى والمعنوى للإنسان المتمثل فى القرب الإلهى من المخاوف الرئيسية له ويفكر بوجهى النظام المتعادل.

أما من الجانب الحقوقى فقد قام بتطبيق شريعة تضمن حقوق كافة الكائنات بالاستناد إلى البارى تعالى ويعتبر أن أساس شرعية الفعاليات الأخلاقية هو الولاية الربوبية ولا يمكن سلب هذه الحقوق إلا بإذن الله. لقد منح الله الإنسان كرامة تعتبر حياة الإنسان معادلة لحياة جميع البشر. يجب أن يتكون التعاليم الأخلاقية مبنية على الحقوق الإلهية.

ولا يكتفى الإسلام فى تطبيق الأخلاق بالنصائح، بل أخذ بعين الاعتبار نظاماً جزائياً لإحقاق حقوق الإنسان وتخلقه بالأخلاق الإلهية حيث يعتبر نظام الثواب والعقاب الأخروى أهم جزء فيه.